

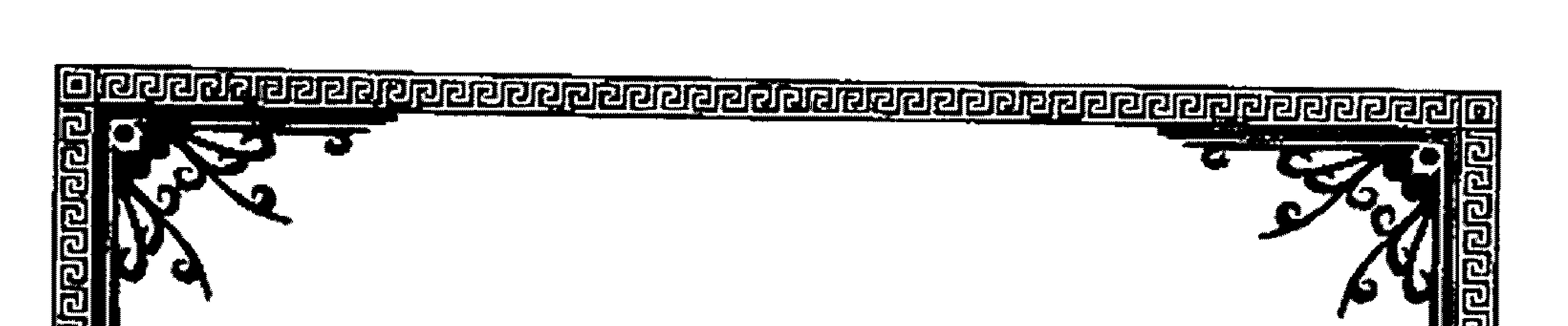
تأليف

الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر سيدي
محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي

المجلد الأول

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء



(٩)

تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العليّة

هذا الكتاب نقلته من مكتبة الأزهر الشريف .

وجاء في فهرست المكتبة ما يلي :[«التنبيهات لابن عربي» أولها بعد الديباجة :

«فإني ذاكر تنبيهات دالات على علو الحقيقة المحمدية» .

نسخة في مجلد ، بقلم نسخ بخط حسن محمد أبو السعود سنة ١١٦٥ هـ في ٨ ورقات :

رقم خاص : ٨٥٤ حليم ، ورقم عام : ٣٣٤٨٨ [تصوف] .

ومعنى كلمة «حقيقة» كما في القاموس المحيط :

«والحقيقة ضد المجاز .

ما يحق لك أن تحميه .

والراية»] اهـ .

وجاء في آخر المخطوطة ما يلي :

«وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك : حادي عشر شهر ذي الحجة ١١٦٥ هـ على يد الفقير إلى مولاه الودود الرحمن : حسن ابن محمد بن أبي السعود بنان ، المرتلي ، البخاري : غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولإخوانه ولوالديهم ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ولمن قرأ فيه ، وطالعه ، ولمن سمعه ونظر فيه ، ودعا لهم بالمغفرة ، آمين ، آمين ، آمين» اهـ .

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تقــديم

أحمد الله تعالى على ما أولانا من نعم .

وأستعينه وأستمده ، حتى لا يقطع عنا رفده ، فإن المقطوع من قطعه الله تعالى .

وأصلّي وأسلّم على السيد المسود على العالمين من ربّ العزة تبارك وتعالى ، الذي أرسله ﴿رحمة للعالمين﴾﴿بشيراً ونذيراً﴾ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلّم .

وبعد :

إنني ـ بحمد الله تعالى ـ من خلال هذه المقدمات ـ أحاول بقدر إمكاني ـ أن أضع النقط على الحروف : دفاعاً عن الإسلام ، وإظهاراً لما أخفي عن عمد .

أو بالأحرى : كشفاً لما تعمد المبطلون المضللون إخفاءه ـ وليس دفاعاً عن شخص من الأشخاص ، أو مذهب من المذاهب ، فإن الدفاع عن الأشخاص والمذاهب : يكون فيه حق وباطل ، وليس هذا مذهبي ـ ولله الحمد والمنة ـ .

ونظرة إلى واقع الأمر نعرف منها : إن المستشرقين ، وأصحاب

المذاهب الهدامة ، كالاسماعيلية ، والرافضة ، والنصيرية ، وغيرهم : لعبت أيديهم في كتب الأفاضل من هذه الأُمة ، وخصوصاً كتب السادة الصوفية .

على إنه من المحقق أيضاً : إن الكتب التي كتبها السادة الصوفية بأيديهم : أغلبها ضاع فيما ضاع من تراث المسلمين .

ثم نشبت ـ بين المسلمين ـ معارك مفتعلة ، وتعدي قوم ـ من المسلمين أيضاً ـ طور الحقيقة عن جهل بما جرى أو يجري في الخفاء ـ لإيقاظ الفتنة ، وجعلوا من التصوف : مذهباً مخالفاً للشريعة ، فهل الأمر كذلك ؟؟؟

إذا رجعنا للحديث الشريف ، الذي قال فيه رسول الله (ص) لما سئل عن : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

قال عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه» .

ومعنى : «كأنك تراه» : أن تعتقد اعتقاداً جازماً ـ يصل في جزمه حد رؤية العين ـ إنك في كل حين ووقت في حضرة الله تعالى .

والمعنى الذي يعطيه قوله (ص) : «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، وهو جزء من القسم الثالث من أقسام الحديث الشريف : هو «عمل الصوفية» (رضي الله عنهم)، وعنا بهم .

وإذا قلت : «الصوفية» فلا أقصد ـ بالقطع ـ ما عليه بعض الناس اليوم .

وإنما أقصد الملتزمين منهم بمنهج الله تبارك وتعالى .

ومن شذ ، فإنما يشذ إلى جهنم .

على أننا ـ في هذه المقدمة على صغرها ـ سنعرض كلام بعض السادة المشايخ الذين يقتدي بهم في هذا الفن المبارك ، حتى نوضح

للناس عقائدهم التي كانوا عليها (رضي الله عنهم وأرضاهم)، وظلوا عليها حتى لقوا ربهم تبارك وتعالى ، وليس في واحد منهم شعرة ترف لغير الله تعالى .

قال الإمام الشاطبي (رحمه الله) في كتابه «الاعتصام» ص ٩٨ ج ١ تحقيق محمد رشيد رضا :

« . . . وقال أبو القاسم النصر اباذي : أصل التصوف : ملازمة للكتاب والسنة ، وترك البدع والأهواء ، وتعظيم حرمات المشايخ ، ورؤية أعذار الخلق ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات» .

ثم قال (رحمه الله تعالى) :

« . . وكلامهم في هذا الباب يطول ، وقد نقلنا عن جملة ممن أشتهر منهم ، ينيف على الأربعين شيخاً : جميعهم يشير - أو يصرح - بأن الابتداع : ضلال ، والسلوك عليه تيه ، واستعماله : رمي في عماية ، وإنه مناف لطلب النجاة ، وصاحبة غير محفوظ ، وموكول إلى نفسه ، ومطرود عن نيل الحكمة ، وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة ، غير مخلين بشيء من آدابها ، أبعد الناس عن البدع وأهلها .

ولذلك لا تجد منهم من ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة ، ولا من يميل إلى خلاف السنة .

وأكثر من ذكر منهم : علماء ، وفقهاء ، ومحدثون ، وممن يؤخذ عنه الدين : أصولاً وفروعاً .

ومن لم يكن كذلك ، فلا بد له من أن يكون فقيهاً في دينه بمقدار كفايته . . . » ، إلى آخر ما قال (رحمه الله تعالى) .

وقال الإمام الشعراني (رحمه الله تعالى) ، في كتابه «الأنوار

القدسية في معرفة قواعد الصوفية» :

« . . . وعلوم أهــل الله إنمـا هي علوم رســول الله (ص) ، لأنهم متقيـدون بـالشـريعـة ، لا يخـرجـون عنهــا إلى رأي أو قيـاس ، إلاّ في النادر» ا هـ .

وقال (رضي الله عنه) :

« . . . وأجمعـوا ـ أي أهـل طـريق الله ـ على أنـه لا يصـح ـ ممن ثبت له قدم في الطريق ـ: بغض ، ولا شحناء ، ولا حسـد ، ولا بغي ، ولا غيبة ، ولا نميمة ، ولا حقد ، ولا مكر ، ولا رياء ، ولا نفاق .

فإن فعل ذلك فهو عدو لله» ا هـ .

وقال أيضاً (رحمه الله) :

« . . . إن طريق القوم محـررة على الكتاب والسنـة تحريـر الذهـب والجوهر .

فمن لم يكن من أكـابر العلمـاء : لا يفلح فيهـا ، لأن لـه في كـل حركة وسكون ميزاناً شرعياً ، يجب عليه علمه قبل الفعل» ا هـ .

وقال أيضاً(رحمه الله ورضي عنه) :

« . . . ومن شـأن القـوم : ألا يتعـدوا علوم شـريعـة النبي (ص) ، ولا يتدينوا برأي لا يشهد له ظاهر الشريعة ، كما قـال أبو القـاسم الجنيد (رضي الله عنه) : «علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة» ا هـ .

وقــال أيضــاً :

« . . كان السيد إبراهيم الدسوقي يقول :

أقبـل يا ولـدي على طـريق القـوم ، فـإنهـا هي الـطريق التي درج عليهـا السلف الصالـح من الصحابـة والتابعين ، لكن بعـد معـرفتـك مـا أوجب الشرع عليك معرفته» ا هـ .

وفي كتاب «النهج الحميد» للسيد إبراهيم الحسني النيجيري ص ٨٠ عن الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية أنه قال :

« . . . إذا سمعتم عني شيئاً ، فزنوه بميزان الشرع ، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه» ا هـ .

ويقول ابن عربي (رحمه الله تعالىٰ)، في الرسالة التي نقدم لها الآن : عند كلامه على التنبيه الثالث ، ما نصه :

« . . فألزم الاقتداء به ، والاتباع له (ص) ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك (ص) .

فضع قدمك على قدمه : إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى ، والشهود الكامل في المكانة الزلفى» ا هـ .

وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، عند كلامه عن سيدي أبي يزيد البسطامي(رضي الله عنه) قال :

« . . . وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة» ا هـ .

وقال ابن عربي في «التنزلات الموصلية» :

« . . . فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية ، والقيام بالحدود الوضعية[1]» .

وقال في «التنزلات الموصلية» أيضاً يخاطب الملوك :

« . . . واعلم أن الله تعالى : ما جعلك ملكاً على خلقه ، وأقامك بين الباطل والحق في مقام حقه لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره ، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره .

---

(١) يعني : التي وضعها لك الحق تبارك وتعالى لافادتك بها ، فلا تتعداها .

وإنما ضرب لك بك مثالاً في عالم الفناء ، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء .

ولهذا جعل هذه الدنيا عرضاً زائلاً ، وغرضاً ماثلاً ، وجعلك عنها راحلاً .

فهي جسر منصوب على بحر الهلاك ، وميدان موضوع لمصارع الهلاك .

كم أبادت من القرون الماضية ، والأمم الخالية ، والجبابرة المتألهين الطاغين ، والحكماء ، والفضلاء ، والأدباء ، والعقلاء ، والأنبياء ، والأولياء ، فهل ترى لهم من باقية ؟

وأنت أيها الملك : على قارعة مذهبهم ، وعن قريب تلحق بهم .

فإما إلى نعيم في دار الخلود بجوار الصمد ، وإما إلى عذاب الأبد .

فاجهد في تحصيل أدوات النجاة والبقاء ، فإن الدنيا متاع ، والآخرة خير لمن اتقى ، والعارية مردودة ، وأعمالك بين يديك موجودة غير مفقودة ، في كتاب : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا علانية ولا سريرة» اهـ .

وها هوذا شيخ الصوفية ، وأحد كبار مؤسسي الطريق ـ ذو النون المصري (رحمه الله تعالى) ـ يقول عن عباد زمانه ، وقد رأى فيهم شيئاً من الخلل :

«. . . قد غلب على العباد والنساك والقرّاء ـ في هذا الزمن ـ التهاون بالذنوب ، حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم ، وحجبوا عن شهود عيوبهم ، فهلكوا وهم لا يشعرون :

أقبلوا على أكل الحرام ، وتركوا الحلال ، ورضوا من العمل بالعلم ، يستحيي أحدهم أن يقول ـ فيما لا يعلم ـ لا أعلم .

هم عبيد الدنيا ، لا علماء الشريعة ، إذ لو عملوا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح .

إن سألوا : ألحوا ، وإن سئلوا : شحوا .

لبسوا الثياب على قلوب الذئاب .

اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه : لرفع أصواتهم باللغو والجدال ، والقيل والقال ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا ، فإياكم ومجالستهم[1]» .

هل بين التصوف والفلسفة صلة كما يقولون ؟ :

اعلم أيها الأخ المسلم الحريص على دينك : إن الفلسفة كفر محض .

وأن التصوف إيمان محض .

وهما على طرفي نقيض : لا يلتقيان أبداً .

وإن الذين خلطوا بين التصوف والفسفة من المسلمين ، إنما تقيدوا بعقلية الفلاسفة من أهل أوروبا .

وهائنذا سائق إليك مثلاً واضحاً : خطاباً أرسله «ابن سينا» شيخ الفلاسفة في عصره ومصره ، إلى «شيبان الراعي» : من كبار الصوفية (رضي الله عنه)،منه تعرف الفرق بين المنهجين : منهج الفلسفة الذي

---

(١) راجع الخطط التوفيقية عند ترجمة «ذي النون المصري» .
وبربك أيها القاريء : هل يقول هذا الكلام إلَّا من شرب لبن الشريعة حتى الثمالة ؟ وتخلقوا بأخلاق رسول الله (ص) ، فكانت شعارهم ودثارهم ؟

ذكره له ابن سينا في خطابه ، ومنهج التصوف الذي أيد به شيبان (رحمه الله ورضي عنه) :

في الخطط التوفيقية : عند الكلام عن الإمام الشافعي (رضي الله عنه) ص ٧١ من الجزء الخامس ، من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ما نصه :

«وكتب له أبو علي بن سينا :

«الحكمة صناعة نظرية ، يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه ، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه ، وتشرف بذلك نفسه ، ويستكمل ويصير عالماً معقولاً ، مضاهياً للعالم الموجود ، ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية .

والعقل له مراتب ، وأسماء بحسب تلك المراتب .

فالأول هو: الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية .

وحده : غريزة يتهيأ بها لإدراك العلوم النظرية .

ثم يترقى في معرفة المستحيل ، والممكن ، والواجب .

ثم ينتهي إلى حد يقمع الشهوات واللذات الحسية ، فتتجلى له صور الملائكة إذا تحلى بحليتها ، فيعاين الحقائق الدائمة ، ويعلم بذاته وموضوعه : لماذا خلق» ا هـ .

فأجابه شيبان بما نصه :

«من الأبلة الأمي ، إلى الحبر أبي علي بن سينا :

وصل كتابك ، مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته ، وقد ألفيته وافياً بمقصودك ، لا بمقصودي ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف ،

واقتني علوماً لم يؤمر بهـا ، فاستغـرقت فيها همتـه ، حتى زلت بـه قـدم الغرور في مهواة التلف .

وكـل ما تـذروه رياح المـوت ، فالهمـة تقتضي تركـه ، والسـلام» اهـ .

بربك أيهـا الأخ المسلم هل يـرد هذا الـرد إلاَّ رجل علمـه الله من لدنه علماً ، فتح الله اغـلاق قلبه ، ونـور دخائل بصيرتـه ، وتصوف حتى استوى ظاهره وباطنه وانجلت عين بصيرته .

الحلـول والاتحـاد :

الحلول والاتحـاد : لا يقول بهمـا مسلم أبـداً ، ولا نعـرف أحـداً من أهـل الله قال بهمـا ـ وقد سبق في مقـدمـات كتبنـاهـا ـ إن قلنـا : إن هؤلاء القـوم ـ الصوفية (رضي الله عنهم وعنا بهم)ـ وضعت عليهم أقـوال لم يقولوها ، ولا تصدر منهم ، وإنمـا وضعها عليهم اليهـود والنصارى ، ومن لف لفهم ، ممن تلبست عقولهم بخطيئـات العقول الأوروبيـة : ظناً منهـم أن ذلك يسوي بين الإسلام ـ في عقيدته الطاهـرة النقية ـ واليهـودية والنصرانية اللتان اخترعهما الشيطان خدمة للضلال والافساد .

يقـول ابن عربي (رحمه الله تعالى) ، في كتـابه «التنـزلات الليليـة» ص ٥٣ :

«لا حـاجـة لنـا في إقـامـة دليـل على إثبـات الـوحـدانية ، فـإن المشاهد : تمنع الجدال في الله وفي وحدانيته» .

وقال ص ٥٧ :

«. . . بـل المخلوق قـاصـر عن إدراك نفسـه ، فكيف لـه بـالـظفـر بـإدراك منشئه من حيث هـو منشيء له ، فـأحرى ـ من حيث ذاتـه تعـالى وتقـدس علواً كبيـراً ـ لا يعـرفـه على حقـه عـارف ، ولا يصفـه واصف» اهـ .

وقال(رضي الله عنه) في «التنزلات الموصلية» - في «فصل أهل الأسرة» - عن الإستواء على العرش :

«إنه ليس كإستواء الأكوان ، وإنه لو جلس عليه جلوساً - كما تدعيه المشبهة - لحده المقدار ، وقام به الافتقار إلى مخصص مختار ، لا تحيط به الجهات والأقطار .

والافتقار على الله محال .

والاستقرار - بمعنى الجلوس - عليه محال ، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال .

وما بقي لكم سوى أمرين ، مربوطين بحقيقتين :

الأمر الواحد: أن يصرف لفظ هذا الاستواء إلى الإستيلاء .

والأمر الآخر : أن نؤمن بها كما جاءت ، من غير تشبيه ولا تكييف ، ونصرف العلم بها إليه ، فإنه أسلم بالمؤمنين عند قدومهم عليه .

ولهذا يختم المنزه تأويله بقوله : «والله أعلم» ، لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته» اهـ .

وقال في كتابه «مرآة العارفين في ملتمس زين الدين» :

«. . . وذاته ذاته ، بلا اتحاد ولا حلول فيه ، ولا صيرورته هو ، فإنه محال ، لأن الاتحاد يحصل من الوجودين ، وكذلك الحلول ، وما ثم إلَّا وجود واحد ، والأشياء موجودة به ، معدومة بنفسها[1] فكيف يتحد به من هو موجود به ، معدوم بنفسه» اهـ .

ثم قال :

---

(١) قوله معدومة بنفسها : أي أنها هي في الأصل معدومة ، لا أصل لها ولا وجود ، فإذا أراد الباري - سبحانه وتعالى - إيجادها : أوجدها من العدم .

«ولو تسمع الاتحاد من أهل الله ، أو تجده في مصنفاتهم ، فلا تفهم منه ما فهمت من الاتحاد الذي قلنا : إنه من الوجودين[1] ، إذ ليس مرادهم بالاتحاد : إلاَّ شهود الوجود الحق المطلق : الذي «الكل به موجود» بالحق[2] فيتحد به الكل من حيث كل شيء موجود به معدوم بنفسه ، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً به[4] ، فإنه محال» اهـ .

ويفسره قوله في كتابه «الأزل» :

«والباري سبحانه : لا يشترك في شيء مع خلقه» اهـ .

وبهذه المناسبة نذكر ما قاله ابن تيمية في رسالته «الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم» «طبع مطبعة السنة المحمدية» مع مجموعة رسائل طبعت سنة ١٣٦٨ هـ بتحقيق حامد الفقي ص ٦٤ ، والمطبوعة على نفقة/ محمد نصيف من أعيان جدة ، عن مسألة الحلول والاتحاد ، لنبصر أنفسنا بمجريات الأمور ، ونرد الناس - ما استطعنا - إلى الحق ، ولن نعلق عليه بشيء من عند أنفسنا ، لأن الأمر واضح لا يحتاج إلى تعليق ، بل سنترك للعقلاء الأمر يحكمون فيه بما يرضي الله تعالى .

قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى) :

«فصل : قد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوع من الحلول . أو الاتحاد ، فإن الاتحاد فيه حق وباطل .

---

(١) الوجودان هما : الوجود الحق ، الذي لا يقبل الفناء ، وهو الله سبحانه وتعالى . والوجود الآخر الكائن بإيجاد الله له .

(٢) الحق له معان كثيرة منها : الأمر المقضي ، والملك كذا في القاموس .

(٣) الضمير في «به» راجع إلى «كل شيء» والمعنى : أن كل شيء موجود بالله ، وليس له وجود من ذاته .

لكن لما ورد عليه ما غيب عقله ، أو أفناه عما سوى محبوبه ، ولم يكن ذلك بذنب منه : كان معذوراً ، غير معاقب عليه ، ما دام غير عاقل ، فإن «القلم رفع عن المجنون[1] حتى يفيق» .

وإن كان مخطئاً في ذلك : كان داخلاً في قوله تعالى : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطئنا﴾ وقال : ﴿ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به﴾ .

وهذا كما يحكي : أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر ، فوقع المحبوب في أليم ، فألقي الآخر نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت ، فما الذي أوقعك ؟

فقال :

غبت بك عني فظننت أنك أني

فهذه الحال تعتري كثيراً من أهل المحبة والإرادة في جانب الحق ، وفي غير جانبه .

وإن كان فيها نقص وخطأ[2] فإنه يغيب بمحبوبه : عن حبه ،

---

(١) لأن الحال غلب عليه فافقده وعيه ، ولذلك قال السيد أحمد البدوي(رضي الله عنه) : عن نفسه وعشقه لربه :

ولم أر في العشقا مثلي ، لأنني تلذ لي البلوى ، ويطربني العذل
سوى معشر : حلو النطاق ومزقوا الـ حجاب ، فلا فرض عليهم ولا نفل
وقد نسبوا للجنون جماعة فقلت لهم بيتاً لمسمعهم يحلو
مجانين إلاّ أن سر جنونهم عزيز ، على أبوابهم يسجد العقل

(٢) هكذا في المطبوعة على اعتبار أن : «كان» بمعنى «وجد» .

وعن نفسه ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن عرفانه ، وبمشهوده عن شهوده ، وبموجده عن وجوده .

فلا يشعر حينئذ بالتمييز ، ولا بوجوده ، فقد يقول في هذا الحال : «أنا الحق» أو «سبحاني» أو «ما في الجبة إلَّا الله» ونحو ذلك ، وهو سكران بوجد المحبة ، الذي هو لذة وسرور ، بلا تمييز .

وذلك السكران : يطوي ، ولا يروي ، إذا لم يكن سكره بسبب محظور .

فأما إن كان السبب محظوراً : لم يكن السكران معذوراً .

وأما أهل الحلول ، فمنهم من يغلب عليه شهود القلب وتجليه ، حتى يتوهم أنه رأى الله بعيني رأسه .

ولهذا ذكره طائفة من العباد الأصحاء : «غلطا منهم» اهـ بحروفه .

وهنا قال حامد الفقي في تعليقه على هذا ـ لأنه هو طابع الرسالة ـ مما قال :

«. . . وغفر الله لشيخ الإسلام ، فإذا كان يعتذر عن هذه المقالات البالغة في الفجور والكفر إلى هذه القحة والاستهتار ، فما باله يرد على ابن عربي وإخوانه الشياطين» .

إلى أن قال : «. . . ولكن شيخ الإسلام ـ (عفر الله لنا وله) ـ حمله تمحل الأعذار : إن قائل هذا القول : شيوخ معظمون عند الجمهور ، من أمثال أبي يزيد البسطامي ، وأبي سعيد الخراز ، وذي النون المصري ، ممن يحسن بهم الشيخ الظن» إلى آخر ما قال .

ولا أقول لك أيها القارىء : من المحتم عليك أن تصدقني ، ولكن أقول لك إقرأ الرسالة بنفسك لترى مبلغ الضلال والتيه الذي سار فيه قوم من غير دليل .

عــود على بــدء :

يقـول ابن عـربي في رسـالتـه : «شجــرة الكـون» عن الله تبـارك وتعالى :

«. . . فهـو مقدس في وجـوده عن ملامسـة ما أوجـده ، ومجانبتـه ومواصلته ، لأنه كان ولا كـون ، وهو الآن كمـا كان : لا يتصـل بكون ، ولا ينفصل عن كون[1] ، لأن الوصل والفصل من صفات الحـدوث ، لا من صفات القدم ، لأن الاتصال والإنفصال يلزم منه الانتقال والارتحـال ، والتحـول والزوال ، والتغيـر والاستبدال ، هـذا كله من صفات النقص ، لا من صفات الكمال ، فسبحانه : سبحانه وتعـالى عما يقـول الظالمـون علواً كبيراً» ا هـ .

ومن الأشيـاء التي دسوهـا على ابن عربي (رحمه الله تعالى) : «إنـه قال بإيمان فرعون :

ولـو نظرت بعين الحق لـوجدت أن الـرجل لا يمكن أن يقـول مثل هـذا أبداً ، لأن قـائله يكذب رب العـالمين في كتابـه العزيـز ، إذ حكم عليه بكفره وخلوده في النار .

ولا يضـاد القرآن إلاَّ من كـان محباً لفـرعـون وقـومـه ، ومن أحب قوماً حشر معهم ، كما في الحديث الصحيح .

يقول ابن عابدين (رحمه الله تعالى) في حاشيته :

«مـطلب : اجمعوا على كفـر فرعـون ، وقد صـرح ابن عـربي في بعض كتبه ، بأن فرعون مع هامان وقارون في النار» ا هـ .

وابن عابدين (رحمه الله تعالى) من كبـار فقهاء الأحنـاف ، وإن كان من المتأخرين ، ولا يمكن أن يقول هذا الكلام جزافاً .

---

(١) قوله «لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون» تفسير لقوله «وهو الآن كما كان» .

قضيـة الحـلاج :

وقد اتهموا بهذا القول ـ الحلول والاتحـاد ـ الحلاج أيضـاً ،(رحمه الله ورضي عنه) .

ولكن إذا راجعت قضيتـه بعقـل المسلم : وجـدت أنهـا قضيـة سياسية : لحماً ودماً :

قال عنه ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» ج ١ ص ١٨٤ :

«. . . كـان قد جرى منه كـلام في مجلس حـامـد بن العبـاس : وزير المقتدر ، بحضـرة القاضي أبي عمـر ، فأفتي ، بحـل دمه ، وكتب خطه بذلك ، وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء» .

فقال لهم الحلاج :

«ظهـري حمي ، ودمي حرام ، ومـا يحل لكم : أن تتقـولـوا علي بمـا يبيحه ، وأنـا اعتقادي الإسـلام ، ومذهبي السنة ، وتفضيـل الأئمـة الأربعـة : الخلفاء الـراشدين ، وبقيـة العشرة من الصحـابـة (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولي كتب في السنة ، موجـودة مع الـوراقين ، فالله في دمي» .

ولم يـزل يـردد هـذا القـول ، وهـم يكتبـون خـطوطهم ، إلى أن استكملوا ما احتاجـوا إليه ، ونهضـوا من المجلس ، وحمل الحـلاج إلى السجن» اهـ منه .

وأمـا طريقـة القتل والمحـاكمـة ، فـإنهـا تـدل على أن من قتلوه : خـالفوا الإسـلام كل المخـالفة ، لأنـه لو فـرض : إنه كـان مرتـداً ـ كما زعمـوا ـ لكان حكمـه ما حكم بـه رسول الله (ص) على المـرتد ـ وليس لأحد بعده أن يحدث أحكامـاً من عنده مـطلقاً ـ أن «يضـرب بالسيف» ، ويواري في مقابر أهل الشرك ، ولا يصلّي عليه ، ولا يكفن .

ولكن ما حدث معه ـ أي الحلاج ـ بعد القتل : أنهم صلبوه ، ثم قطعوه إرباً إرباً ، ثم أحرقوه وذروه في النهر .

أما قبل القتل ، فإنهم جلدوه ألف سوط ، ثم ألفاً أخرى ، وفعلوا فيه الأفاعيل ، وهو حي .

وهذا يدل على حقد دفين في قلوب أعدائه .

وقد نهى النبي (ص) عن التمثيل بقتلى المشركين وغيرهم أيما نهي ، فما بالك برجل قال لهم : «اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة» .

ومن هذا المنطلق الذي ذكرته لك أيها القارىء الكريم : يجب أن تعرف : أنه يجب علينا أن نعيد قراءة تاريخ هؤلاء الأفاضل ، من منطلق الحق الصرف ، الذي لا محاباة فيه لأحد من الناس ، كائناً من كان ، حتى نهتدي إلى ما يحب الله ورسوله ، وندع أضاليل المستشرقين وأتباعهم من دعاة التغريب والكفر .

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

هو العاصم من الزلل ، والواقي من الخطل .

والصلاة والسلام على صاحب الحق الأبلج والنور الأكمل .

صلّى الله عليه وآله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وسلّم .

عبد الرحمن حسن محمود

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، خصوصاً على نبيه ورسوله ووليه وصفيه المجتبى ، الذي كلمه[1] وأشهده وقربه ، حتى كان منه[2] كقاب قوسين أو أدنى[3] : محمد المختص بمظهر الربوبية[4] العظمى (ص)وعليهم : صلاة دائمة أبداً بلا انقطاع ولا انتهاء .

أما بعد :

---

(١) ليلة الإسراء والمعراج ، وحديث فرض الصلاة وتردده على سيدنا موسى شاهد على ذلك .

(٢) مكانة لا مكاناً ، وكلمه ربه تعالى ، ففي حديث الإسراء الذي رواه ابن أبي حاتم ، قال (ص) : «فقال الله لي يا محمد : إني يوم خلقت السماوات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك» .

(٣) كناية عن شدة القرب ، وإنه (ع) : أقرب المقربين إليه .

(٤) ومظهر الربوبية هو : التربية والتأديب ، قال (ص) : «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ولم يقل : «أدبني الله» لأن كلمة الرب فيها معنى التربية ، ومنه قوله تعالى ـ رب العالمين ـ أي الذي يربيهم ، ومظهر الربوبية : من تظهر فيه آثار التربية ، وهم كل الخلق : كالرزق ، والحفظ ، والعناية ، وما إلى ذلك .
واختصاص الله تعالى حبيبه (ص) : أعلى وأرقى من ذلك كله .

فإني ذاكر تنبيهات ، دالات على علو مرتبة الحقيقة المحمدية ، وتوحده بها ، مما كوشف به بعض محققي وراثه ، لتحيا قلوبنا بفهمها ، وتتشرف أسماعنا بإدراكها ، وتسعد ألسنتنا بذكرها ، صلّى الله على صاحبها :

التنبيه الأول

إعلم أن الحقيقة المحمدية مسماة بالعقل الأول ، وبالقلم الذي علم الله تعالى به الخلق كلهم ، وبالحق الذي قامت به السماوات والأرض ، وبالباء .

وأحسن أسماء هذه الأسماء : [الحقيقة المحمدية] : الباء[1] ، من حيث ظهور الأشياء بها .

وإنما ظهرت الأشياء بالباء ، إن الحق تعالى : واحد ، فلا يصدر عنه إلّا واحد ، فكان الباء : أول شيء صدر عن الحق تعالى ، فهي : ألف على الحقيقة ، وحداني من جهة ذاتها ، وهي باء من جهة مرتبتها ، لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود ، فلهذا سميت : باء ، لتمتاز عن الحق تعالى ، ويبقى اسم الألف له تعالى .

فالباء : أثنان من جهة المرتبة ، فهي عدد ، والأشياء عدد ، فصار العدد من العدد : يعني من الباء ، وبقي الواحد الأحد ، في أحديته مقدساً منزهاً .

ثم أعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل ، فلهذا كانت النقطة التي تحتها بين العالم الكوني وبينها : إشارة إلى الأحدية ، فلو كان الأثر للباء ، لم تكن هذه النقطة ، إذ الأثر لها لا للباء ، والله تعالى أعلم .

---

(١) بدل جملة من جملة .

التنبيـه الثاني

اعلم أن مـرتبـة الإنسـان الكـامـل ، الـذي لا أكمــل منـه : من العـالم : مـرتبـة النفس النـاطقـة من الإنسـان[1] ، وهـو سيـدنـا محمـد (ص) : الذي هو الغاية المطلوبة من العالم .

ومرتبة الكمال التنازلي[2] عن مرتبته : بمنزلة القـوى الروحـانية من الإنسان[3] ، وهم الأنبياء (صلّى الله عليهم وسلّم) .

ومرتبة من نزل عن مرتبتهم[4] بمنزلـة : القوى الحسيـة من الإنسان في الشكل ، وهو من جملة الحيـوان ، فهم بمنزلـة الروح الحيـواني في الإنسان ، الذي يعطي النمو والاحساس .

وإنما قلنا : إنه (ص) : «النفس الناطقـة» : لما أعـطاه الكشف ، ولقوله (ص) : «أنـا سيد النـاس»[5] والعالـم من النـاس ، فلأنـه الإنسان الكبير في الجرم ، المتقدم[6] في التسوية : لتظهـر عنه[7] صـورة نشأتـه

(١) يشير إلى أنه بالنفس الناطقـة يتميز الإنسـان من الحيوان ، وكـذلك هـو (ص) بالنسبـة للعالم بمنزلة النفس الناطقة بالنسبة للخلق ، والله أعلم .

(٢) لأنه أعلى مقامات الكمال ، فكل من أوتي شيئاً من الكمال فهو أقل منه : مرتباً تـرتيباً تنازلياً ، لا تصاعدياً ، لأنه لو كان ترتيباً تصاعدياً لكان هنـاك من هو أعلى منـه ، وهذا غير موجـود ، فهو الحـائز (ص) ذروة الكمـال الخَلقي والخُلقي - أي خلقه الله تعـالى أكمل المخلوقين - . (ص) .

(٣) لأن الإنسان بلا روح : جسد ميت ، لا حركة له .

(٤) وهم الأولياء والصالحون من عباد الله تعالى .

(٥) في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد ، والترمذي وغيرهما .

(٦) في المخطوطة : «المتقدمة» .

(٧) هناك فرق بين «عنه» و «منه» ومعنى «عنه» أي عن طريقـه ، تقول مثـلاً : أخذت هـذا العلم عن فلان ، أي بواسـطته ، فهـو ممد وممـد ، أخذ من نـاحية ، معط من نـاحية أخرى .

(ص) ، كما سوى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه(*) ، ثم نفخ فيه من روحه : روحاً كان به إنساناً تماماً .

والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان . وكذلك الجن .

فليس العالم إنساناً إلاَّ بوجود الإنسان ، الذي هو «نفسه الناطقة» .

كما أن نشأة الإنسان : لا يكون إنساناً إلاَّ بنفسه الناطقة ، ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة ، إلاَّ بالصورة الإلهية[1] .

فلذلك «نفس العالم»[2] التي هي عبارة [عن][3] سيدنا محمد (ص) ، حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوع في الصور ، وبقاء العالم به .

وكان حال العالم قبل ظهوره (ص) بمنزلة الجسد المسوى بلا روح .

وحاله بعد وفاته : بمنزلة النائم .

وحاله ببعثه (ص) يوم القيامة : بمنزلة الانتباه بعد النوم .

ولما أراد الله بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز : خلق لها أجساداً برزخية تميزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا : في النوم ، وبعد الموت ، والله أعلم .

(*) يعني قبل النفخ فيه .

(١) سيبسط هذا الكلام فيما بعد بسطاً واضحاً .

(٢) لأن العالم كالجسد الواحد : له روح واحد .

(٣) في المخطوطة «من» وهو تحريف .

التنبيـه الثالث

اعلم : أن الأرض الـواسعـة[1] إنمـا هي أرض عبـادتـك ، فتعبـد الحق «كـأنك تـراه» في ذاتك من حيث بصـرك ، على مـا يليق بجـلالـه تعالى .

وعين بصيرتك تشهد بأنه : ظاهـر لها ظهـور علم[2] ، فتجمع في عبـادتـك بين مـا يستحقـه تعـالى من العبـادة في الخيـال[3] ، وبين مـا يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال[4] ، فتعبده مـطلقاً ومقيـداً[5] ، وليس هـذا لغير هـذه النشأة الإنسـانية المؤمنـة ، التي جعلهـا الله تعـالى حرمه المحرم ، وبيته المعظم .

فكـل من في الـوجـود من المخلوقـات : يعبـد الله تعـالى على الغيب ، إلاَّ الإنسان الكامل ، فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة .

ولا يكمـل العبد بـالإيمان الكـامل ، فـإنه النـور الذي يـزيـل كـل ظلمة .

فـإذا عبده على المشـاهدة : رآه جميـع[6] قواه ، فمـا قام بعبـادته غيره[7] ، ولا ينبغي أن يقوم بها سواه .

---

(١) المذكورة في قوله تعالى : ﴿يا عبادي الذين آمنوا أن ارضي واسعة فـأياي فـأعبدون﴾ من سورة العنكبوت ؛ الآية : ٥٦ ، وهو من التفسير الأشاري .

(٢) لا ظهور رؤية .

(٣) أي في خيالك أيها العابد .

(٤) أي في موطن الحقيقة ، وهو موطن الذي يعتقد أنه يشاهد الله جل وعلا حقيقة .

(٥) يعني بما أفترض عليك من الفرائض ، وبما تنتقل به ، والله تعالى أعلم .

(٦) من قـولـه جـلا وعـلا : «كنت يـده التي يبطش بهـا ورجله التي يمشي بهـا» إلى آخـر الحديث القدسي المعروف .

(٧) الضمير يرجع إلى «الله» تعالى ، لأنه هو الذي أمدك سـراً وجهراً ، وهـو الفاعـل على الحقيقة سبحانه وتعالى .

واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة ، ومالك قدم في هذه الدرجة ، فأنا أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا ، وذلك أن تعلم أن الرسل ـ(صلّى الله عليهم وسلّم)ـ أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم[1] تعالى .

وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب .

فلذلك لم يبعث نبي منهم إلاَّ لقوم معينين ، لأنه على مزاج خاص مقصور ، وأن سيدنا محمداً (ص) بعثه الله برسالة عامة إلى جميع الناس كافة . ولا[2] قبل مثل هذه الرسالة العامة إلاَّ لكونه على مزاج عام ، يحتوي على مزاج كل نبي ورسول[3] .

فمزاجه : أعدل الأمزجة كلها ، ونشأته أقوم النشآت أجمعها .

فإذا علمت هذا ، وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية ، فألزم الإيمان والاتباع له (ص) ، واجعله مثل المرآة أمامك .

وقد علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لسيدنا محمد (ص) في مرآته : أكمل ظهور وأعدله ، وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال .

فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته (ص) : تكون قد أدركت منه

---

(١) لأنه لا يمكن أن يعي رسالة الله إلاَّ من كان كذلك .

(٢) «لا» بمعنى «ما» ، وقبل : بفتح القاف وكسر الباء وفتح اللام .

(٣) ولذلك كانت رسالته (عليه الصلاة والسلام) أكمل الرسالات ، لأنها حوت جميع ما نزل على الرسل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه**﴾ من سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ وكان هو أكمل الرسل ، وهي قضية لا تقبل الجدل .

ما لم تدركه في غير مرآته (ص) .

ألا تـرى ـ في بـاب الإيمـان ـ بمـا جـاء بـه من الأمـور التي نسب الحق تعـالى نفسه بهـا على لسـان الشـرع ـ بمـا تحيله العقول ـ ، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي .

فكمـا أعطانـا بالـرسالـة والإيمـان : مـا قصـرت العقـول ـ التي لا إيمان لها ـ عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى ، كـذلك أعـطانا مـا قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنـا ـ عند المشـاهدة ـ عن إدراك مـا تجلى في مرآته (ص) : أن تدركه في مرآتها .

وكما آمنت به في الرسالة غيباً : شهدته عند التجلي عيناً[١] .

فقـد نصحتـك وأبلغت لـك في النصحيـة ، فـلا تـطلب مشـاهـدة الحق تعالى إلاّ في مرآته (ص)[٢] .

واحـذر أن تشهـد النبي (ص) أو تشهـد مـا تجلى في مـرآتـه من الحق تعالى في مرادك ، فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية .

فـالزم الاقتـداء به ، والاتبـاع له (ص) ولا تـطأ مكانـاً لا ترى فيـه قدم نبيك (ص) .

فضع قدمك على قدمـه[٣] إن أردت أن تكون من أهـل الدرجـات العلا ، والشهود الكامل في المكانة الزلفى ، والله الموفق .

(١) يعني لما آمن المسلم بالله تعالى بالغيب ولم يره ، وعمل لـه واحبه واشتغـل به حبـاً له وإقامة لشرعه : تجلى له ، فصار كأنه يراه رؤية عين .
وربمـا رمز الشيـخ (رحمه الله تعالى) إلى التجلي الحقيقي يوم القيـامة ، وفي الجنـة ، والله أعلم .

(٢) لأنك لا تستطيع ، ولن تكون مرآة قلبك صـافية ، كمـا هي مرآة قلبـه الشريف ، مهمـا بلغت من الصلاح والتقوى ، فإن الخالق جل وعلا قدر أن تكون مرآة قلبه (عليه الصلاة والسلام) أصفى وانقى المرايا على الإطلاق .

(٣) يعني ابتع آثاره (ص) في كل صغيرة وكبيرة .

التنبيه الرابع

اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً ، فظهرت الأرواح المهيمنة بين الجلال والجمال ، وخلق ـ في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين ـ العنصر الأعظم ، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي ، وما منهم روح يعرف أن ثم سواه ، لفنائه في الحق بالحق .

ثم إنه تعالى أوجد بتجل آخر من غير تلك المرتبة المتقدمة : أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء ، وهيمهم فيها بالتسبيح والتقديس ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم .

وكل منهم على مقام من العلم بالله تعالى والحال .

وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة ، وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيزة ، ولا يجوز عليها التبديل[1] ، ولا يجوز كذلك أبد الآباد ، لما سبق في علم الله تعالى .

وللإنسان الكامل في هذه الأرض : مثال ، وله فيهم حظ ، وله في الأرواح [الأولى[2]] مثال الآخر ، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم .

ثم إن هذا العنصر الأعظم : له إلتفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ، ولا وجود لذلك العالم في العين ، وهذا العنصر المشار إليه : أكمل موجود في العالم .

---

(١) لأن التبديل الذي قاله تعالى : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾ هي أرضنا هذه وسماؤنا ، والله تعالى أعلم .

(٢) في المخطوطة «الأولة» .

ولولا عهد الستر الذي أخذ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه ، وبينا كيفية تعلق كل ما سوى الله تعالى به ، فأوجد ما قال الوارد عند تلك الإلتفاتة : «العقل الأول» ، وقيل فيه «الأول» ، لأنه أول عالم التدوين والتسطير .

وتلك الإلتفاتة ، إنما كانت للحقيقة الإنسانية ، التي لها الكمال من هذا العالم ، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز : أسباباً مقدمة لترتيب نشأته - كما سبق في العلم - ومملكته ممتدة ، قائمة القواعد له (ص) ، لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى ،فلا بد من تقدم وجود العالم - الذي هو مملكته - عليه ، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل ، وإن كانت له الأولية بالقصد .

فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة ، وإليه توجهت العناية الكلية ، فهو عين الجمع والوجود ، والنسخة العظمى ، والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه (ص) .

التنبيه الخامس

إعلم أن الوجود واحد[1] ، وله ظهور[2] ، وهو : العالم[3] ، وله بطون ، وهو : الأسماء ، وله برزخ جامع ، فاصل بينهما ، ليتميز الظهور عن البطون ، والبطون عن الظهور ، وهو : الإنسان الكامل : (ص) .

فالظهور : مرآة البطون .

والبطون : مرآة الظهور .

---

(١) أي وجود الحق تبارك وتعالى هو الوجود الحق .

(٢) بمعنى مظاهر .

(٣) فوجود العالم ، وهو مخلوق : دليل على وجود الخالق .

وما بينهما فهو مرآة لهما : جمعاً وتفصيلاً .

وإعلم : كما أنه بين ذات الحق تعالى ، وذات الإنسان الكامل مضاهاة ، وبين علمه وعلمه مضاهاة[1] وأن كل ما فيها مجمل ، فهو فيها مجمل ، وكل ما فيها مفصل فهو فيها مفصل ، فكذلك بين القلم ، وروح الإنسان الكامل مضاهاة ، وبين اللوح وقلبه مضاهاة ، وبين العرش وجسمه مضاهاة ، وبين الكرسي ونفسه مضاهاة ، وكل منهما مرآة لما يضاهيه .

فكل ما في القلم مجمل ، فهو في روحه مجمل .

وكل ما في اللوح مفصل ، فهو في قلبه مفصل .

وكل ما في العرش مجمل ، فهو في جسمه مجمل .

وكل ما في الكرسي مفصل ، فهو في نفسه مفصل[2] .

فالإنسان الكامل : جامع لجميع الكتاب الإلهية ، والكونية .

فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته ، فكذلك نقول : حق الإنسان

---

(١) عبر بالمضاهاة لأنها مشابهة : أسمية لا حقيقية ، قال في القاموس : «وضاهاه : شاكله» .

وقال : «والمشاكلة : الموافقة» .

وقد قال هو (رحمه الله) : «فالله لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء» اهـ .

والمقصود بالإنسان الكامل : من تخلق بأخلاق الله تعالى ، فالمضاهاة من حيث التخلق والاتصاف .

وقد قال (ص) : «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق ، من تخلق بخلق منها دخل الجنة» ولا يوجد أحد جمع هذه الأخلاق جميعاً غيره (ص) ، فهو الإنسان الكامل حقيقة لا شك ولا نزاع ، وهو المقصود عند ابن عربي (رحمه الله تعالى) : والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٢) والإجمال والتفصيل بحسب كل .

الكـامل : إذ علمـه بذاتـه[١] مستلزم لعلمه بجميـع الأشياء ، وإنـه يعلم جميـع الأشيـاء من علمـه بـذاتـه ، لأنـه هـو جميـع الأشيـاء : إجمـالاً وتفصيلاً ـ «فمن عرف نفسه فقد عرف ربه» ـ وعرف جميع الأشياء .

وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ .

فالألف : يشار به إلى الذات الأحدية ، من حيث أنه أول الأشياء .

واللام : يُشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية .

والميم : يُشار به إلى الكون الجامع ، وهو الإنسان الكامل[٢] .

فـالحق تعـالى ، والعـالم ، والإنسـان الكـامـل : ﴿كتـاب لا ريب فيه﴾[٣] .

والله تعالى أعلم .

التنبيـه السادس

إعلم أن مقـام المحبة أعلى المقـامات والأحـوال ، وهـو السـاري فيها .

وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد .

---

(١) الضمير في «بذاته» راجع إلى الإنسان الكامل . والمقصود بالأشياء : الأشيـاء التي هو خلاصتها ، لا علم كل شيء كما يتبـادر إلى الذهن ، إذ علم كـل شيء : لله وحده ، وسيفسرها الشيخ فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) وقد بسط الكلام في كتابه «شجرة الكون» فارجع إليه تره مبسوطاً هناك وموضحاً .

(٣) ليس هذا تفسيراً للآية الكريمة ، وإنما نوع استنباط فقط ، المراد به : أن الله سبحانـه وتعالى خلق العالم ، فوجود الله حق لا ريب فيه ، ووجود العالم : حق لا ريب ، لأن الله أوجـده بالفعـل ، واستخلص هذا العـالم كله في واحد ، هـو الإنسـان الكـامـل : وصلّى الله على الإنســان الكـامــل (ص) ، وذلـك حق لا ريب فيــه ، ومن معــاني الكتـاب : الفـرض ، والحكم ، والقـدر : راجـع القـامـوس المحيط ، والله الحمـد والمنة .

وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد ، لأنه : مقام أصل الوجود وسيده ، ومبدأ العالم وممده[1] ، وهو سيدنا محمد (ص) : الذي اتخذه الله حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً[2] .

فمن حقيقة هذا السيد : تفرعت الحقائق كلها : علواً وسفلاً ، فأعطى الله تعالى أعلا المقامات ـ وهو المحبة ـ : لأصل الموجودات ، وهو سيدنا محمد (ص) .

وإعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الألوهية حجاب عن التحقق بهذا في الجملة [3] كما كان سيدنا محمد (ص) الذي كان من ربه تعالى في القرب «بأدنى من قاب قوسين» ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك ، لأنه : ما ورد عليه أمر لم يكن فيه ، ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته .

وأما غيره ـ وهو موسى (ض) ـ فإنه لما ورد على أمر غريب : ورد عليه أمر أثر فيه[4] ، فكان يبرقع من النور الذي كان ـ على وجهه[5] ـ لأنه كان يأخذ بأبصار الناظرين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) هو إمداد الأصل لفرعه ، كما أن أصل الشجرة له جذوع يشرب منها ويروي الفروع .
فمعنى الامداد هنا : إنه الواسطة (ص) .

(٢) يشير إلى الحديث الصحيح الذي يقول فيه (ص) : «. . . وإن الله اتخذني حبيباً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» .

(٣) يعني ـ والله أعلم ـ أن من يطلب الاتصاف بأوصاف الألوهية جملة : لا يمكن له ذلك .

(٤) يريد أن يقول : إن سيدنا موسى (ص) أضفى عليه النور وقت المناجاة ، وكانت على الأرض ، وأما سيدنا محمد (ص) فلم يظهر فيه شيء من الأنوار لما رجع إلى الأرض ، لأنها كانت فيه (ص) جبلها الله تعالى فيه . ولذلك قال عمرو بن العاص (رضي الله عنه) : «والله ما ملأت عيني من رسول الله (ص) قط ، ولو طلب مني وصفه ما استطعت» والله تعالى أعلم .

(٥) في الجملة تقديم وتأخير ، تقديره هكذا : «فكان يبرقع على وجهه من النور الذي كان» . والله أعلم .

التنبيـه السابع

إعلم أن الإنسـان الكامـل : كتاب جـامع لجميـع الكتب الإلهية ، لأنه نسخة العالم الكبير .

فمن حيث روحه وعقله : كتاب عقلي يسمى بأم[1] الكتاب .

ومن حيث قلبه يسمى : كتاب اللوح المحفوظ .

ومن حيث نفسه يسمى : كتاب المحو والإثبات .

فهي ـ الصحف المكـرمة المـرفوعـة المطهـرة ـ التي ـ لا يمسهـا ـ ولا يدرك أسرارها ومعانيها ـ إلاَّ المطهرون ـ من الحجب الظلمانية[2] .

وما ذكرنا من الكتب ، إنما هي أُصول الكتب الإلهية .

وأمـا فـروعهـا ، فكـل مـا في الـوجـود : تنتقش فيـه أحكـام الموجودات ، فهي أيضاً كتب إلهية .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

التنبيـه الثامن

إعلم أن ربّ الأربـاب هو الحق تعـالى ـ باعتبـار الاسم الأعظم ـ ، والتعين الأول .

هـو منشأ جميـع الأسماء ، وغـاية الغـايات ، ومتـوجه الـرغبات ، والحاوي لجميع المطالب كلها ، وإليه الإشارة بقـول الله تعـالى لرسـوله (ص) : ﴿**وأن إلى ربك المنتهى**﴾ لأنه (ص) مظهر التعين الأول .

---

(١) أم الشيء : أصله الذي وجد منه ، ومنه قـوله تبـارك وتعالى : ﴿**لتنـذر أم القرى ومن حولها**﴾ فإن مكة أصـل الأرض ، ومنها دحيت ، فهـو (ص) أصـل العـالم الذي وجـد منه .

(٢) وهذا إقتباس إشاري من الآية الكريمة .

فالربوبية المختصة به[١] هي هذه الربوبية العظمى .

وإعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية : صورة في العلم مسماة بـ «الماهية» ، و «العين الثابتة» .

ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر والموجودات الغينية ، وتلك الأسماء : أرباب تلك المظاهر .

فالحقيقة المحمدية : صورة لاسم «الله» الجامع لجميع الأسماء الإلهية ، الذي منه الفيض على جميعها ، فهو تعالى ربه .

فالحقيقة المحمدية التي هي ترب صورة العالم كلها[٢] بالرب الظاهر فيها ، الذي هو رب الأرباب[٣] .

فبظاهرها : ترب ظاهر العالم ، وبباطنها ترب باطن العالم ، لأنه صاحب الأسم الأعظم ـ وله الربوبية المطلقة[٤] ـ .

وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته ، لا من جهة بشريته .

فإنه من هذه الجهة[٥] عبد مربوب : محتاج إلى ربه[٦] سبحانه وتعالى.

---

(١) والاختصاص في هذه الآية الكريمة : في إضافة الاسم الكريم : «رب» إلى كاف الخطاب : «ك» ، وهو : اختصاص تكريم له (ص) .

(٢) ترب : أي تجمع صورة العالم ، قال في القاموس «ورب : جمع» والضمير في «كلها» راجع إلى الصورة لا إلى العالم .

(٣) سبحانه وتعالى ، وقوله (رضي الله عنه)«بالرب الظاهر» الخ : أي جمع صورة العالم كله في واحد ، وهو الإنسان الكامل (ص) .

وقوله : «هو صاحب الاسم الأعظم» أي المختص به .

وقوله : «وله الربوبية المطلقة» أي الجمع المطلق .

وقوله فيما بعد : «وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته» الخ كأنه أحس بشيء فشرح ما يقصد ، لئلا يذهب وهلك وعقلك إلى شيء آخر غير مقصود له .

(٤) قوله : «الربوبية المطلقة» : أي الجمع المطلق .

(٥) الضمير راجع إلي : بشريته (ص) .

(٦) وهو أيضاً محتاج إلى ربه في الناحية الأولى ، وفي كل شيء .

وقد أوضح ذلك كله في كتابه «شجرة الكون» أيما أيضاح .

التنبيه التاسع

إعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم ، وهو مركز دائرة الوجود ـ من الأزل إلى الأبد ـ واحد : باعتبار حكم الكثرة متعدد .

فالنبي في كل عصر هو قطبه[1] ، وعند إنقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها ، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً .

فلا يزال في هذه المرتبة وأحد منهم ، قائم في هذا المقام ، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام ، إلى أن يظهر خاتم الأولياء ، الذي هو خاتم الولاية المطلقة[2] ، والله أعلم .

التنبيه العاشر

إعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته ، وشاهد جميع صفاته وكمالاته في ذاته، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة ، فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية[3] ، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً ، ثم أوجدهم فيها وجوداً تفصيلياً ، فصارت أعياناً ثابتة .

فأعيان العالم في العلم والعين[4] .

وكمالاتها : إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية[5] (ص) .

---

(١) أي قطب ذلك العصر الذي يدور عليه .

(٢) وهو سيدنا عيسى (ص) ، وسيذكره صريحاً فيما بعد .

(٣) أي في علم الله تعالى .

(٤) قوله في العلم والعين : أي ما كان في علم الله ثم ظهر في عالم المشاهدة والعيان .

(٥) لأنه : الأصل الذي منه الإفاضة ، كما قال سابقاً .

التنبيـه الحادي عشر

[في بيان معاني وصف الشيخ (رحمه الله تعالى) للحقيقة المحمـدية (ص) بأنه][*] الحادث الأزلي والنشأ الدائم .

أما حدوثه الذاتي ، فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب[١] .

وأمـا حدوثـه الزمـاني : فلكون نشـأته العنصـرية مسبـوقة بـالعـدم الزماني .

وأما أزليته فبالوجود العلمي[٢] .

فعينه الثابتة في العلم : أزلية ، وكذا بالـوجود العيني الـروحاني ، لأنـه غير زمـاني ، والفرق بين أزليـة الأعيـان الثـابتـة في العلم والأرواح المجـردة ، وبين أزليـة الحق تعـالى ، هـو : أن أزليتـه تعـالى نعت سلبي : ينفي افتتاح الوجود عن عدم[٣] ، لأنه تعالى عين الوجود .

وأزليتهـا[٤] هو : دوام وجـودهـا بـدوام وجـود الحق تعـالى[٥] مـع افتتاح وجودها عن العدم[٦] . لكن وجودها من غيرها[٧] .

وأما دوامه وأبديته فلبقائه ببقاء موجده تعالى : دنياً وأُخرى .

(*) من هنا يتضح لنا : أن هذه الرسالـة منسوخـة ، أو مختصرة من نسخـة أُخرى للشيـخ (رحمه الله تعالى) .

(١) هو يشير هنا (رحمه الله) إلى أن : واجب الوجود هـو الله تعالى ، ومعنى «فلعـدم اقتضاء ذاتـه الوجـوب» أي أن الذات المحمـدية ليست مـوجودة لـذاتها ، وإنمـا هي موجـودة بإيجاد الله تعالى لها : فالواجب الوجود هو الله تعالى ، وحسب .

(٢) يعني في علم الله تعالى .

(٣) يقول أن الله تبارك لا أول لوجوده ، لأن من لـه أولية فقـد سبقه العـدم ، وقد ردك هنـا إلى كتب التوحيد ، فراجعها لتعرف ما هي الصفات السلبية .

(٤) الضمير راجع إلى الأعيان والأرواح وغيرها .

(٥) لأن الله جعلها كذلك .

(٦) أوجدها من عدم ، وبقاؤها بإبقاء الله تعالى لها .

(٧) وجود هذه العوالم من غيرها وهو الله تعالى ، وليست موجودة بذاتها .

وأما كونه كلمة فاصلة ، فلأنه هو الذي يفصل بين الأرواح وصورها في الحقيقة ، وإن كان الفاصل ملكاً معيناً ، فإنه بحكمه : يفصل بينهما .

وكذلك هو «الجامع» بينهما ، لأنه هو الخليفة الجامع للأسماء ومظاهرها ، فلما وجد هذا الكون الجامع ، تم العالم بوجوده الخارجي ، لأنه روح العالم المدبرة له ، والمتصرفة فيه [1] .

وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العيني ، لأنه لما كانت عينه في الخارج مركبة من العناصر المتأخر وجودها عن الأفلاك وأرواحها وعقولها : وجب أن يوجد قلبه ، لتقدم الجزء على الكل بالطبع .

وكون هذا الكامل : ختماً على خزانة الدنيا[2] فهو أيضاً ختم على خزانة الآخرة : ختماً أبدياً ، فيه دليل على أن التجليات الإلهية لأهل الآخرة : إنما هي بواسطته (ص) ، والمعاني المفصلة لأهلها ، متفرعة عن مرتبته ، ومقام جمعه أبداً ، كما تفرعت أزلاً ، فما للكامل من الكمالات في الآخرة : لا نهاية لها ، والله أعلم .

التنبيه الثاني عشر

إعلم أن إطلاق الصورة على الله تعالى ـ عند أهل النظر ـ ، إنما هو مجاز لا حقيقة ، إذ لا تستعمل حقيقته إلاّ في المحسوسات دون المعقولات .

وأما عند المحققين ، فإنها تستعمل في وصف الله تعالى

---

(١) تصريف امداد ، كما قال سابقاً (رضي الله عنه) : لا تصريف خلق وإيجاد .

(٢) لأنه ختم الرسالات ، فلا رسول بعده (ص) .

وأما في الآخرة فمعروف أنه أوتي الشفاعة العظمى للفصل بين الخلائق يوم القيامة (ص) .

حقيقة ، لأن العالم بأسره : صورة الحضرة الإلهية : تفصيلاً[1] .

والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلهية جمعاً[2] .

قال رسول الله (ص) :

«إن الله خلق آدم على صورته[3]» .

فالنشأة الإنسانية : حازت صورة الحضرة الإلهية ، وصورة العالم : لأنه بروحه حاز رتبة الحضرة الإلهية[4] ، ورتبة الأرواح الروحانية[5] .

وبجسمه : حاز رتبة الأجسام .

فرتبته : حازت رتبة الجمع والإحاطة ، ولهذا قامت حجة الله تعالى على الملائكة ، لاحاطته (ص) بما لم يحيطوا بعلمه[6] .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) أي الشكل والهيئة التي أرادها الله تعالى ، لأن الله تعالى خالق : لا بد له من مخلوق ، ورازق : لا بد له من مرزوق ، وقادر : لا بد له من مقدور ، وهكذا ، والعالم كله : مخلوق ، ومرزوق ومقدور ، وما إلى ذلك .

(٢) أي الذي اجتمعت فيه كل الصفات الإلهية التي قدرها الله تعالى له ، فما فصله في العالم : جمعه فيه (ص) مجملاً .

(٣) وقد ذكر ابن الجوزي (رحمه الله تعالى) عدة تفاسير لهذا الحديث في كتابه : «دفع شبه التشبيه» ، فقال :

«والقول الثاني : أن تكون الصورة بمعنى الصفة : تقول: هذا صورة هذا الأمر، أي صفته ، ويكون خلق آدم على صفته : من الحياة ، والعلم ، والقدرة، والسمع ، والبصر، والإرادة ، فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ، ثم ميزه عن الملائكة بصفة التعالي حين أسجدهم له ، والصورة ههنا معنوية : لا صورة تخاطيط» اهـ .

(٤) لأنه (ص) مخصوص الحضرة الإلهية ، وقوله «رتبة الحضرة» أي الرتبة التي خصه الله تعالى بها .

(٥) الملائكة .

(٦) يقصد ـ والله أعلم ـ أنه أعلم من الملائكة ، لأن علمه مستمد ممن علمه تبارك =

التنبيه الثالث عشر

إعلم أن كلاً من الظاهر والباطن : ينقسم إلى قسمين :

باطن مطلق ، وباطن مضاف .

وظاهر مطلق ، وظاهر مضاف .

فأما الباطن المطلق ، فهو : الذات الإلهية وصفاتها ، والأعيان الثابتة في علم الله تعالى[1] .

والباطن المضاف هو : عالم الأرواح ، فإنه ظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق ، وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق ، وهو عالم الأجسام .

فلذلك أنشأ الله تعالى : صورة الإنسان الكامل : الظاهرة من حقائق العالم وصوره .

وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى[2] ، فلذلك قال : «كنت سمعه وبصره» .

فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم (ص) كذلك هو[3] سار في كل موجود من العالم .

لكن سريانه وظهوره في كل حقيقة من حقائق العالم ، إنما هو بقدر استعداده .

وإعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية : نصيب من الخلافة ، به يدير ما يتعلق من أمر نفسه أو غيره ، وهو «سمعه» الذي ورثه من والده الأكبر ، الذي هو الخليفة (ص) .

= وتعالى : علمه وأعطاه ما لم يعط أحداً من العالمين ، ولا حرج على فضل الله .

(١) فيه توضيح لما أجمله وأشكل عليك أيها القارىء الكريم .

(٢) راجع ما ذكره ابن الجوزي سابقاً .

(٣) أي الروح والسر : على الصورة التي قدر الله تعالى .

التنبيه الرابع عشر

إعلم أن سيدنا محمداً (ص) : اختص بمقام الجمع ، فجاء بقول الله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة ، وبين الجمع والتفصيل ، والتنزيه والتشبيه ، بل جامع لجميع المقامات الأسمائية ، فجمع الله تعالى في قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ بين إثبات المثل ، وبين نفيه في آية واحدة ، بل في نصفها[1] .

وبسبب هذا الجمع والتنزيه والتشبيه ، قال (ص) :

«أوتيت جوامع الكلم[2]» .

أي جميع الحقائق والمعارف .

ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء (ص) وعليهم ، فدعا أمته إلى : الظاهر في عين الباطن ، وإلى الباطن في عين الظاهر ، وإلى الوحدة في عين الكثرة ، وإلى الكثرة في عين الوحدة .

وما دعاهم إلى الغيبة [والوحدة وحدها : إلى المشاهدة والكثرة وحدها[3]] والله أعلم .

---

(١) استدل الشيخ (رحمه الله تعالى) بهذا على أن الله تعالى جمع في نصف الآية : بين النفي والإثبات ، وإنه من مجمل ما أوتيه (ص) ، وقد أعطاه الله المجمل في مقام الاجمال ، كهذه الآية ، والتفصيل في مقام التفصيل ، كتفصيل قصة موسى في الأعراف والمجمل في مقام المجمل كقصة موسى في سورة النازعات ، والجمع بين التفصيل والإجمال ، كما في قصة موسى أيضاً في سورة طه ، وذلك لان مقامه (ص) جامع بين الجمع والتفصيل .

(٢) رواه العسكري في الأمثال .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ، ويبدو أنها هكذا : «وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها ، ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها» والله أعلم .

التنبيه الخامس عشر

إعلم أن الأنبياء (ص) ، وورثتهم (رضي الله عنهم) : خدم[*] الأمر الإلهي مطلقاً ، سواء كان الأمر موافقاً للإرادة أو مخالفاً لها[1] ، بل هم في نفس [الأمر[2]] خادمون لأحوال الممكنات ، من حيث إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم ، ومنعهم مما يضر دينهم ودنياهم .

وهذا الإرشاد والخدمة منهم : لهم[3] : إنما هي من مقتضيات أعيانهم وأحوالهم الثابتة في الحضرة العملية دون وجودهم الخارجي .

فانظر ما أعجب هذا الأمر ، من أن خادم الأمر الإلهي يكون خادماً للممكنات ، مع جلالة قدره عند الله تعالى .

والرسل (ص) : خادموا الأمر التكليفي بالحال ، كاتيانهم بالعبادات والأفعال المثبتة لطريق الحق : ليقتدي بهم ، وبالقول ، كالأمر بالإيمان ، والنهي عن الكفر والعصيان ، وبيان ما يثابون عليه ، ويعاقبون عليه ، وليسوا [بخادمين[4]] الإرادة ، إذ لو كانوا خادميها ، لما منعوا أحداً من فعل ما يتعلق بالإرادة ، بل كانوا يساعدونهم فيه ، والله تعالى أعلم .

(*) في المخطوطة «خادم» .

(١) ردك في هذا إلى كتب التوحيد ، فأرجع إليها .

(٢) ما بين القوسين ليست في المخطوطة ، ويقتضيها المقام .

(٣) الضمير في «منهم» ، للأنبياء ، والضمير في «لهم» لمن أرسلوا إليهم .

(٤) في المخطوطة «وليسو بخادم» ومعنى قوله «وليسوا بخادمي الإرادة» : أن الرسل عليهم الصلاة : خدم الأمر الإلهي ، يأمرهم الله تعالى بشيء فينفذونه ، لأن وظيفتهم إمتثال الأوامر وتبليغها للخلق .

وأما الإرادة فتعلقها بالله تعالى : ينفذ أحكامه حسبما يريد هو ، والله تعالى أعلم .

التنبيه السادس عشر

[في معنى قول الشيخ (رحمه الله تعالى): «حكمة فردية في كلمة محمدية»][*] .

إنما كانت حكمة فردية ، لانفراده (ص) بمقام الجمعية الإلهية ، الذي ما فوقه إلاَّ مرتبة الذات الأحدية ، لأنه (ص) : مظهر لاسم الله تعالى الأعظم الجامع للأسماء كلها .

ولأنه أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان : عينه الذاتية ، وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان : روحه ، فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية ، وعينه الثابتة الفردية الأولى .

وإعلم أن أول الأفراد الثلاثة : ما زاد عليها ، فهو صادر منها .

وهذه الثلاثة الأفراد المشار إليها في الوجود ، هي :

الذات الأحدية ، والمرتبة الإلهية ، والحقيقة المحمدية ، المسماة بـ «العقل الأول» .

ولما كانت تعطي الفردية الأولى بما هو مثلث الشيء قال (ص) : «حبب إلي من دنياكم ثلاث[1]» بما فيه من التثليث ، وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه ، فقد ذكر النساء ، ثم الطيب ، ثم قال : «وجعلت قرة عيني في الصلاة» .

(*) وهذا أيضاً من الأدلة على أنه منسوخ من نسخة أخرى .

(١) لفظ «ثلاث» ليست من لفظ الحديث ، إذ لفظ الحديث «حبب إلي من دنياكم : النساء والطيب ، وقرة عيني في الصلاة» وقالوا : «إن من الدنيا الطيب والنساء ، أما الصلاة فليست من الدنيا» . ولفظ «ثلاث» قال المحدثون : إنها منكرة وليست من لفظ رسول الله (ص) .

والحديث رواه الإمام أحمد ، والنسائي ، والحاكم ، والبيهقي ، وغيرهم .

وإنما حبب النساء إليه (ص) : لكمال شهود الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق تعالى مجرداً عن المواد أبداً ، فإن الله تعالى بالذات غني عن العالمين[1] ، ولا نسبة بينه تعالى مجرداً عن المواد .

فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ، ولم تكن المشاهدة إلاَّ في مادة : فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود وأكمله في حالة النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب .

وأعظم الوصلة الجماع .

وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته ، ليخلفه فيرى فيه مثال صورته .

وكذلك النكاح : يتوجه لايجاد ولده على صورته ، بنفخ بعض روحه فيه ـ يعني النطفة ـ ليشاهد عينه في مرآة ابنه[2] من بعده ، فصار النكاح المشهود نظير النكاح اللأصلي الأزلي[3] ، فظاهر صورة الإنسان : «خلق موصوف بالعبودية» ، و«باطنة حق» ، لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهره ويربيه[4] ، إذ هو الظاهر بصورته الروحانية ، والله تعالى أعلم[*] .

التنبيه السابع عشر

إعلم أن سيدنا محمداً (ص) لما خلق عبداً بالأصالة : لم يرفع رأسه قط إلى السيادة[5] مراعاة لما تقتضيه ذاته مع العبودية الذاتية ،

(١) في الجملة تقديم وتأخير تقديره : «غني بذاته عن العالمين» .

(٢) أي : ليشاهد الرجل نفسه في ابنه .

(٣) أي : المقدر في الأزل .

(*) في هذا الكلام بعض شرح لبيتيه المشهورين :
«الرب حق ، والعبد حق» . إلى آخرهما . والله تعالى أعلم .

(٤) لأن بدن الإنسان قائم بالروح : والروح من أمر الله تعالى .

(٥) لم يكن رسول الله (ص) يرفع رأسه تواضعاً لله تعالى .

الحاصلة من التعين والتقيد ، وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية .

بل لم يزل ساجداً لحضرته ، متذللاً لربه تعالى ، واقفاً في مقام عبوديته ، ورتبة إنفعاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً ، لأنه (ص) قال :

«أول ما خلق الله تعالى : نوري[1]» الذي سماه «عقلاً» بقوله : «أول ما خلق الله تعالى العقل» .

فأعطاه رتبة الفاعلية ، بأن جعله خليفة متصرفاً[2] في الوجود العيني ، معطياً لكل من العالم كماله .

فالروح المحمدي : هو: المظهر الرحماني[3] الذي استوى على العرش ، فتعم رحمته على العالمين ، كما قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ .

---

(١) قال العلامة الشيخ محمد الخضر بن مايابي الشنقيطي في كتابه : «استحالة المعية بالذات» ص ٣٥٣ مانصه :

«. . . فأول المخلوقات على الإطلاق : النور المحمدي ، لما أخرجه عبد الرزاق بسنده ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :

«يا رسول الله ـ بأبي أنت وأمي ـ أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى ، قبل الأشياء ؟

قال : يا جابر : إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره . . .» إلى آخر الحديث .

ثم قال :

«وفي أحكام ابن القطان ، مما ذكره ابن مرزوق ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي (ص) قال :

كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام . . .» وقال في ص ٣٦٨ : أنها ـ أي أحاديث خلق النور المحمدي ـ أحاديث صحاح .

(٢) تصرف امداد لا تصرف إيجاد .

(٣) مظهر الرحمة : عملها في مرحوم ، كما أن مظهر القدرة : عملها في مقدور ، وهكذا ، وقول الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين﴾ لفظها عام ، يشمل كل شيء من العرش إلى الفرش . والله تعالى أعلم .

التنبيه الثامن عشر

[قال الشيخ(نفعنا الله تعالى به)](*) :

إعلم أن دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه ، وأحسنهم صورة فكان سبب نزول جبريل على سيدنا محمد (ص) في صورته ، إعلاماً من الله تعالى : إنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلاَّ صورة الحسن والجمال ، وهي التي لك عندي .

فيكون ذلك بشرى له حسياً ، ولا سيما أن أتى[1] بأمر الوعيد والزجر ، فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه قهر ذلك الوعيد[2] ، والله أعلم .

التنبيه التاسع عشر

قال (رحمه الله تعالى)(*) :

وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بسيدنا محمد (ص) : إذ كل واحد من الرسل (ص) يحشر جزيء[3] الحكم ، لاقترانه بطائفة مخصوصة .

(*) وهذه أيضاً من الدلائل على أن هذه الرسالة مأخوذة من نسخة أُخرى كتبها الشيخ ونسخ هذا الناسخ منها ، ولم تصل إلينا نسخة الشيخ(رحمه الله تعالى) .

(١) أي جبريل ، لو أتى بامر فيه وعيد وزجر ، لا يأتيه إلاَّ في صورة دحية الذي هو أجمل العرب على الإطلاق ، حتى قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) فيه : «إنه يوسف هذه الأمة» وذلك حتى لا يروع قلب حبيبه (ص) .

(٢) لأن عادة الملوك : إذا أرسلوا إلى إنسان بوعيد ، يأتي الرسول وفي وجهه عبوسة وإكفهرار ، ولكن جبريل (ع) لم يأته قط إلاَّ في صورة دحية (رضي الله عنه) الذي هو أجمل إنسان في العرب .

(*) وكذلك تلك من الدلائل على أنه مأخوذ من نسخة أُخرى .

(٣) أي يحشر معهم للشهادة على قومه الذين أرسل إليهم .

والقطب منا : ليس كذلك[1] فإنه عام ، جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر ، وإن كان أرثه عيسوياً أو موسوياً[2] ، فلا يقدح ذلك فيه ، فإنه من مشكاة محمدية ، فله المقام الأعم ، وقد نبه عليه رسول الله (ص) بقوله عن طائفة من أمته: « ليسو بأنبياء يغبطهم الأنبياء[3]» (ص) ، للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم .

التنبيه العشرون

في بيان المعاني المرادة من قول سيدنا رسول الله (ص) بأن الحق تعالى «وضع يده بين كتفيه ، وإنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه ، فعلم ما في السموات وما في الأرض[4]» .

إعلم أن الحق تعالى منزه عن اليد الحسية وأناملها ، وإنما هي

---

(١) لا يوقف يوم القيامة مثل ذلك الموقف .

(٢) وعيسى وموسى (ص) : رسل الله بالتوحيد الذي جاء به سيدنا محمد (ص) ، إلاّ أنه يُقال هذا قدمه موسوي : أي فيه صفات من صفات سيدنا موسى ، أو عيسوي فكذلك ، هذا ما عن لي في هذا . وقوله ـ فيما بعد ـ فلا يقدح ذلك فيه : قصد ـ والله تعالى أعلم ـ أي لا ينتقصه إذا قيل : لم كان عيسوياً أو موسوياً ، ولم يكن محمدياً ؟ لأنه (ص) المد لجميع الأنبياء ، فحكم أنه الأصل النوري لهم . والله تعالى أعلم .

(٣) لأن الأنبياء سيكونون مع أقوامهم في عرصات الموقف حتى يسألهم الله هل بلغوا قومهم أو لا ؟ أما هؤلاء فتحت ظل العرش .

(٤) في روح البيان ج ١٥ ص ١٥٤ ما نصه :

«أخرجه الإمام أحمد ، والترمذي ، وقال : حديث صحيح ، وسئل البخاري عنه ، فقال : حديث حسن صحيح» اهـ .

وللحديث روايات ، منها ؛

«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفارات والدرجات ، والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، واسباغ الوضوء=

يد امتنان واصطفاء ، بإفاضة أنوار النبوة والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها : أولها وآخرها ، ظاهرها وباطنها ، كلياتها وجزئياتها ، دنيا وأخرى ، ولذلك أخبرنا (ص) بالأوائل والأواخر : «بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة» لأن الحضرة الكونية كلها صارت أمام بصيرته وبصره ، حتى أنه كان (ص) «يرى من وراءه كما يرى من أمامه» وإنما خصص وضع اليدين بين الكتفين ، لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصصه الله تعالى إلّا من ورائه .

وأما برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه (ص) ، فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له ، بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له ، وهذا كله إنما هو بمقتضى مرتبته .

وأما من حيث بشريته ، فقال :

«إني أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله متولي السرائر» وأمثال ذلك من الستر عليه في بعض الأمور ، [إنما هو لأمر عارض[1]] اقتضاه الحكم الإلهي ، ولذلك قال (ص) : «لست أنسى ، ولكن أنسى لأسن[2]» .

= في المكاره ، قال : صدقت ، ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .

وقال : يا محمد إذا صليت فقل : «اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام» رواه عبد الرزاق في جامعه ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي .

(١) هكذا هي في المخطوطة .

(٢) رواه الإمام مالك بلاغاً ، كذا في هامش الأحياء .

التنبيه الحادي والعشرون

إعلم أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله ، يتضمن ذلك الوحي : شريعة يتعبده الله تعالى بها في نفسه[1] ، فإن بعث إلى غيره كان رسولاً .

فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه .

وتارة يأتيه على صورة حسية من خارج ، فيلقي ما يجاء به على أذنه فيسمعه .

وتارة على بصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء .

وكذلك سائر القوى الحسية .

وهذا باب قد غلق بسيدنا محمد (ص) ، ولا سبيل أن نتعبد الله تعالى بشريعة ناسخة لهذه الشريعة[2] .

وإذا نزل عيسى (ص) فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وهو خاتم أولياء هذه الأمة ، فإن من شرف سيدنا محمد (ص) : أن الله ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم .

وهو[3] (ص) يحشر يوم القيامة مع الرسل : رسولاً ، ومع هذه الأمة : ولياً تابعاً .

وإلياس كهذا المقام أيضاً .

وأما حالة أنبياء[4] أولياء هذه الأمة فهو : كل شخص أقامه الله

---

(١) لأنه لم يأمره الله تعالى بالتبليغ للناس .

(٢) لأنه : لا رسول بعده (ص) ولا نبي حتى تقوم الساعة .

(٣) يعني : سيدنا عيسى (ص) .

(٤) أي : الذين يحدثون ، بضم الياء وفتح الحاء والدال المشددة : الذين يكلمون ، كما قال رسول الله (ص) لعمر (رضي الله عنه) .

تعالى في تجل من تجلياته ، وأقام له مظهر محمد (ص) ، ومظهر جبريل (ص) ، وهو يلقي خطاب الأحكام المشروعة ، لمظهر رسول الله (ص) ، فيسمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية ، فيرى نفسه وقد وعي جميعها ، وعلم صحتها علم يقين ، بل عين يقين ، فأخذ حكم هذا النبي ، وعمل به على بينة من ربه تعالى .

فهؤلاء هم أنبياء أولياء هذه الأمة ، ولا ينفردون بشريعة قط ، ولا يكون الخطاب بها إلاّ بتعريفهم : أن هذا هو شرع محمد رسول الله (ص) .

وهذا آخر «التنبيهات» نفعنا الله بها آمين

وصلّى الله على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم